



ISSN:0258-1086

الرواقية الرومانية ومفهوم الدولة العالمية نحو رؤية إنسانية موحدة

م. د. مؤيد جبار رسن

الجامعة المستنصرية – كلية الآداب، بغداد، العراق

الكاتب المسؤول: moayadjabbr@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

تمثل المدينة العالمية في الفكر الرواقي الروماني وحدة أخلاقية شاملة، إذ طور الرواقيون هذه الفكرة وجعلوها فلسفة عملية توجه أفكارهم وأفعالهم اليومية، تتميز الفكرة الرواقية ببساطتها ووضوحها، إذ تقوم على مبدأ أن جميع البشر يعيشون في مدينة كونية واحدة، مترابطين ارتباطاً وثيقاً كأسرة ممتدة، ويعمل الرواقي وفق هذا المبدأ من أجل مصلحة الجماعة، يسعى الطموح الرواقي المتأخر إلى مواجهة النزعات التقسيمية والاستقلالية التي كانت شائعة في العصر الهلينيستي، وذلك عن طريق تبني رؤية شمولية كونية يتعايش فيها البشر كإخوة، ويرى الرواقي أن الكون بأسره هو مدينته، وأن جميع البشر هم إخوانه، مما يساعد الفرد على مواجهة تحديات الحياة بتبني نظرة كونية تتجاوز الأعراف المحلية، حيث يكون قانون مدينة الكون واحداً في كل مكان، متفوقاً على أي تقاليد محلية. ومن أبرز المبادئ التي قامت عليها الفلسفة الرواقية الرومانية في سعيها نحو تحقيق المواطنة العالمية هو مبدأ القانون الطبيعي، إذ يعد القانون أساس الفلسفة الأخلاقية، تكمن الفضيلة والخير والسعادة في أن يعيش الفرد وفقاً للطبيعة، وعندما يعيش الإنسان وفقاً للعقل، فإنه يعيش وفقاً للقانون الكلي الذي يحكم العالم.

الكلمات المفتاحية: الإنسان، المدينة، الرواقية، العالم، الطبيعة

تأريخ النشر: ١-٦-٢٠٢٦

تأريخ القبول: ١٢-١-٢٠٢٦

تأريخ الاستلام: ٢٢-١١-٢٠٢٥

Roman Stoicism and the Concept of the World State Toward a Unified Human Vision

Lecturer Dr. Moayad Jabbar Rasn

Mustansiriyah University, College of Arts, Baghdad, Iraq

Corresponding author : moayadjabbr@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

The concept of the global city in late Stoic thought represents a comprehensive moral unity, where the Stoics developed this idea and transformed it into a practical philosophy guiding their daily thoughts and actions. The Stoic idea is characterized by its simplicity and brilliance, based on the principle that all humans live in one cosmic city, interconnected like an extended family, and the Stoic acts accordingly for the common good. The ambition of late Stoicism aims to confront the divisive and the Hellenistic era by adopting a universal and holistic vision where humans coexist as brothers. The Stoic perceives the entire cosmos as his city and all people



as his siblings, helping the individual face life's challenges. Modern accounts of Stoic politics have attributed to Zeno the ideal of an isolated community of sages and to later Stoics such as Seneca a cosmopolitan utopia transcending all traditional states. By returning to the Cynic background of both Zeno's Republic and the Cosmopolitan tradition, this paper argues that the independent tendencies that were prevalent in both suggest that the distance between the two is not as great as is often supposed. This account, it is argued, is more plausible than trying to offer a developmental explanation of the supposed transformation in Stoic political thought from isolated community to cosmopolitan utopia.

Keywords: human, city, stoicism, world, nature.

Received: 22-11-2025

Accepted: 12-1-2026

Published: 1-6-2026

المقدمة

يؤخذ على أفلاطون وأرسطو في مذهبهما الأخلاقي أمران، كما يقول عثمان أمين. أولهما أن هذين الفيلسوفين أخضعا الفرد للدولة، مما أدى إلى إنكار حق الإنسان في الحرية الشخصية، وثانيهما أنهما لم يتجاوزا في علاقات الصداقة والعطف حدود المدينة الواحدة، إذ اقتصرت هذه الروابط على المواطنين داخل المجتمع المحلي، دون أن تمتد لتشمل الإنسانية جمعاء، متخطية حدود المكان والزمان.

في المقابل، جاءت المدرسة الرواقية، ولاسيما في مرحلتها الرومانية، بروية جديدة حاولت من خلالها التصدي لهذه النزعة العصبية التي تبناها أفلاطون وأرسطو، لقد أعلت الرواقية من شأن الإنسان كفرد على حساب المواطن، إذ عدت الإنسانية أسرة واحدة تضم جميع البشر بغض النظر عن انتماءاتهم أو لغاتهم أو أوطانهم. وهكذا أسس الرواقيون مفهوم الجامعة الإنسانية الذي يتجاوز الحدود الجغرافية والاختلافات الثقافية مؤكداً على وحدة البشر في إطار أخلاقي كوني.

إذ سعى الرواقيون إلى تحقيق هذا المبدأ من خلال إرساء فلسفة شمولية تعترف بأن جميع الناس إخوة، يعيشون في مدينة كونية واحدة تجمعهم روابط إنسانية عميقة، وقد أسهم هذا التوجه في توسيع نطاق الأخلاق ليشمل العالم بأسره، مما يجعل الفضيلة والخير مشتركين بين جميع أفراد الإنسانية بعيداً عن التعصب والتمييز، ترى الرواقية الرومانية في مفهوم "الوحدة العالمية" رابطة أخلاقية تجمع بين جميع البشر من جهة، وبين الإنسان والآلهة من جهة أخرى. وهذا التصور ينبع من اعتقاد الرواقيين بأن روح الإنسان لا تختلف في جوهرها عن عقل الكون، إذ ينظر إلى الآلهة والبشر على أنهم أجزاء من هذا العقل الكوني الواحد.

وبما أن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته، قد هيأته الطبيعة للحياة الجماعية والعمران، فقد كان لزاماً على الناس أن يعدوا أنفسهم إخوة يشكلون فيما بينهم مملكة العقل، هذه المملكة تضم أفراد الإنسانية كافة على اعتبار أنهم يتشاركون نصيباً واحداً من العقل، ويعيشون تحت سقف واحد، ويتنفسون هواء واحداً، مما يجعلهم مؤهلين للفضيلة عبر رابطة الأخوة التي ركزت عليها الرواقية الرومانية كأساس يجمع أبناء المدينة العالمية، كما تؤكد الرواقية الرومانية على مفهوم الحب العالمي الذي يميز سكان هذه المدينة، بحيث تسود بينهم علاقات يسودها



التسامح والتعاون، بعيداً عن أي توتر أو صراع. ومن خلال هذا الفهم يصبح الحب قوة تربط أفراد الإنسانية جميعاً مما يضمن ترابطاً اجتماعياً قائماً على الاحترام المتبادل والتكافل الأخلاقي.

توطئة

إن المحاولات العقيمة التي أطلقها أفلاطون وأرسطو لرسم معالم "دولة المدينة" باءت بالفشل وأصبحت مفاهيمها في هذا السياق عشوائية وعديمة الجدوى غير قابلة للتطبيق في عصر مضطرب ومتأزم، تلا وفاة الإسكندر المقدوني، فقد نشبت صراعات على الحكم في ظل ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية قاسية تراجعت فيها الفضائل الأخلاقية لتحل محلها المصالح الشخصية الضيقة وانهارت فيها الحرية السياسية، مما أدى إلى اختلال النظام السياسي في المدن اليونانية.

عانت تلك المدن من أزمت متلاحقة، أبرزها تفشي الفردية والخيانة والانقلاب، بالإضافة إلى انتشار نظام الرق والفوارق الاجتماعية الحادة بين فئات البشر، حيث انقسم المجتمع إلى أحرار وعبيد، أو قبائل وأجناس مثل اليونانيين والبرابرة، ومع تصاعد النزاعات والانقسامات الضيقة بين الطبقات المتفاوتة والمتصارعة بدأت ملامح المجتمع تنهار تدريجياً نحو الانهيار، ما جعل مشاريع دولة المدينة مجرد أفكار طوباوية بعيدة عن الواقع الفعلي (ينظر: ادمون: ٢٠٢٢، ص ٨١).، لقد مثلت فكرة المدينة العالمية والدعوة إلى مجتمع عالمي تجديداً أخلاقياً وسياسياً غير مسبوق في إطار الفلسفة الرواقية، على الرغم من الجدل حول مصادر هذه الفكرة. وإذا كان صحيحاً أن الرواقيين قد تأثروا في دعوتهم ببعض آراء السوفسطائيين والكليبيين أو حتى بحلم الإسكندر الأكبر بعالم متحد، فإن ذلك لا ينفي أن هذه الفكرة تشكل جانباً أصيلاً من الفكر الرواقي ولا سيما في مرحلته المتأخرة.

لقد جاءت هذه الفكرة كنتيجة لتطور المذهب الفلسفي الرواقي بكافة أبعاده، وانبثقت من موقفهم تجاه القضايا الطبيعية والأخلاقية والإلهية التي تناولها الفلاسفة الرواقيون بعمق وتفكير ناقد، وعن طريق هذه الفلسفة سجلت المدرسة الرواقية انتصاراً كبيراً في ميدان الأخلاق، مما جعلها تتفوق على ما قدمه غيرها من المدارس الفلسفية الأخرى، إذ ارتقت بفكرة المواطنة من نطاق المدينة المحدودة إلى أفق كوني رحب يشمل الإنسانية جمعاء.

ويبدو أنه ليس فقط المبدأ الرواقي (الحياة وفقاً للطبيعة) هو المبدأ الوحيد المتصل اتصالاً مباشراً بمفهوم (الكوزمبوليتيا) عندهم بل إن هناك مبدأ آخر لا يقل أهمية عنه وهو مبدأ التعايش الذي نادى به الرواقيون ضمناً لتحقيق التكيف الطبيعي والاندماج مع الآخرين وتبادل المصالح من أجل تحقيق المفهوم الحقيقي للعدالة، لا شك أن مبدأ التعايش هذا يندرج بطبيعة الحال تحت المفهوم الأشمل وهو الكوزمبوليتيا؛ لأن الرواقيين كانوا ينادون من التعايش تحقيق الأمان والسلامة والعدالة وهي عناصر أساسية من عناصر مفهوم الكوزمبوليتيا (Long: 1996 p 187).

فالرواقيين عندما كانوا يدعون إلى دولة عالمية كان الهدف منها إقامة نظام سياسي يعبر ويضم كافة البشر. تتفاعل فيه مصالحهم ومناقضهم بغية تكوين «وحدة أخلاقية معنوية تجمع بين الآلهة والبشر من جهة وبين البشر جميعاً من جهة أخرى، والاتحاد أساس هذه الوحدة، فارتباط الشخص بالإنسانية ككل أهم وأعظم بكثير من ارتباطه مع قومه» (عبد العال، ٢٠٠٣، ص ١١٨)، ولأجل تحقيق هذه المدينة – العالمية الأخلاقية- حتى يصبح الإنسان مواطناً عالمياً يشترط توافر مجموعة من المبادئ الأساسية التي نادى بها الرواقيون كأساس لأي مجتمع عالمي.

أولاً: من الفردية إلى الإنسانية: الأخوة أساس للتعايش

دعت الرواقية - إلى التخلص من الأنانية وحب الذات والتميز القومي الذي شهدته دولة المدينة، عندما قالت على لسان "سينيكا" أن «هناك دولتين، الأولى واسعة ويشترك فيها الجميع، وتحتوي فيها الأرباب مثل البشر، ونحن لا ننظر إلى هذه الزاوية ولا تلك، بل نقيس حدود دولتنا بمسار الشمس. والثانية إننا مسجلون بها لظروف ميلادنا، أعني أثينا وقرطاجة أو أي مدينة أخرى لا تتبع البشر جمعاء، بل سكان بعينهم، ويكرس أناس بعينهم الخدمة لكلتا الأمتين وتزيد وتنقص في الوقت نفسه، فبعضهم نقل خدمته وبعضهم الآخر قد



يزيد)) (سينيكا : ٢٠١٩، فقرة ٤-١)، من هذا النص تسعى الرواقية الرومانية في مشروعها العالمي إلى توضيح وجود نوعين من الدول: الأولى هي الدولة الكبرى التي تضم الآلهة والبشر على حد سواء، وهي مملكة كونية مشتركة تجمع الجميع دون النظر إلى حدود جغرافية أو اختلافات إقليمية، هذه الدولة تنتمي إلى الجميع بشكل متساوي، حيث تتجاوز فكرة الانتماء المكاني وتحضن الإنسانية جمعاء، أما الثانية فهي الدولة الصغرى، والتي ينتسب إليها الإنسان بحكم الولادة التصادفية، أي الدولة التي يُولد فيها دون اختيار منه. وترى الرواقية أن على الإنسان أن يخدم كلتا الدولتين في الوقت ذاته — الكبرى والصغرى — ليصبح مواطناً عالمياً متمسكاً بفكرة الدولة العالمية الحقيقية، تلك التي تعكس الرغبة في إقامة تنظيم سياسي عالمي واحد يتسم بالاتساع والشمول، حيث يتمتع جميع البشر بحق المواطنة العالمية التي تتجاوز الانقسامات والخلافات الثقافية والعرقية، أما إذا اكتفى الإنسان بخدمة الدولة الصغرى وحدها — دولة الولادة — دون أن يخدم الدولة الكبرى، فإنه بذلك لم يصل بعد إلى مستوى العالمية ولم يتبنَ مفهوم المواطنة الكونية الذي تنادي به الرواقية.

التمسك الذي دعت إليه الرواقية هو تمسك الوحدة التي لا تنفصل بين العالمين الطبيعي والإنساني فيقول "سينيكا" ((كل ماتراه، يشمل الإله والإنسان هو واحد، فنحن أجزاء جسد عظيم واحد. لقد انتجتنا الطبيعة وواحدنا مرتبط بالآخر، مادامت قد خلقتنا من مصدر واحد وإلى نهاية واحدة دفعتنا)) (نرسيان: ١٩٩٩، ص ١٨٦)، رأت الرواقية هنا أن الخير الأسمى يكمن في العقل الذي يربط بين الإنسان والإله، معتبرة إياه جزءاً من الروح الإلهية المستقرة في الجسد البشري. ومن خلال هذا العقل تتجلى حكمة الكون التي توحد البشر وتربطهم برابطة أخلاقية سامية، إلى جانب ذلك تمنح طبيعة الإنسان خيراً عظيماً يتمثل في الزمالة الإنسانية التي تعمل على توحيد الجنس البشري في إطار من التأخي والتكافل، وبفضل العقل والزمالة يحقق الإنسان السيطرة على الحيوانات ويمتد نفوذه إلى عناصر الطبيعة، مما يتيح له الاستفادة من مزايا الحياة الجماعية وتحقيق التقدم والانسجام مع محيطه.

وعلى الرغم من التضامن والترابط القائم بين الإنسان وإخوانه من بني البشر، إلا أن العنف والاضطهاد والكرهية تستمر بصورة كبيرة رغم ((إننا أعضاء هيئة واحدة عظيمة ومع ذلك لا يخجل الناس من إظهار الفرح إذا ما سفك بعضهم دم بعض، ومن إشعال نار الحرب، ومن توريث أبنائنا مزيداً من الحروب بينما تعيش الحيوانات الخرساء في سلام مع أنواعها، أما الإنسان وهو الشيء المقدس لأخيه الإنسان فإنه يُذبح علناً)) (سينيكا : ٢٠١٨، ص ٢٥٧)، وما تهدف إليه الرواقية الرومانية في دولتها الشمولية أن يكون ((واجب الإنسان أن يساعد أخيه الإنسان)) (Seneca:2004 V3.p131)، في هذه الدولة الكونية التي يرأسها الإله يعيش البشر فيها كإخوة يمارسون الفضيلة بوصفها الخير الأسمى والطريق الوحيد لتحقيق السعادة. فالرواقيون يخضعون في سلوكهم لسلطان العقل المستقيم الذي يحكم الكون وينظم شؤونه. وكما عبر عن ذلك إبيكتيتوس بأن العقل هو القوة الموجهة التي تضمن انسجام الإنسان مع القانون الكوني. إذ يقول: ((أن يحب الإنسان أخاه الإنسان ويقدم له يد العون والمساعدة)) (إبيكتيتوس: ٢٠٢٠، فقرة ٢٤)، إن مثل هذه العبارات بمثابة بشائر أمل انطلقت منها الرواقية الرومانية سعياً لتعميم فكرتها العالمية على الجميع بهدف تحقيق التعايش السلمي البعيد عن الكراهية والضعينة. فقد كان الهدف الأسمى هو إشاعة التسامح الاجتماعي بما يضمن العيش بسلام مع الآخرين ضمن إطار من الوثام الإنساني.

من الجدير بالملاحظة أن النزعة الدينية التي تربط بين الإله والإنسان والتي تحدث عنها سينيكا لم تكن موجودة في مفهوم المدينة العالمية لدى الرواقية المبكرة، بل برزت بشكل واضح فقط في مرحلة الرواقية الرومانية، وتحديداً عند سينيكا، وقد تعمقت هذه الفكرة أكثر على يد إبيكتيتوس الذي اعتبر الناس إخوة لأنهم جميعاً مخلوقون من إله واحد، مما أضفى على مفهوم الأخوة الإنسانية بعداً روحياً يتجاوز الحدود التقليدية فيقول: ((الإنسان بطبيعته حيوان أناني ينزع دائماً إلى حب الذات فكل ما يفعله هو لنفسه ولمصلحته فقط، لماذا كل هذا؟، فحتى الشمس تفعل كل شيء لمنفعتنا، وزیوس أيضاً يأمر بسقوط المطر من أجلنا، وبمنحنا الفاكهة المثمرة التي نتغذى عليها، فواجب عليك أن تتجاهل نفسك ومصلحتك من أجل خير ومصلحة الجميع، وفي هذه الحالة لن يكون هناك سوى مبدأ واحد وهو العمل من أجل الجميع وتخصيص احتياجاتنا إليهم، فعليك أن



تدرك قيمة المصلحة المشتركة والاهتمام المشترك ((Epictetus ١٩٠٤ ch I))، أرادت الرواقية الرومانية أن يعيش الناس ليس فقط من أجل أنفسهم بل من أجل العالم بأسره، وهذا يعكس مفهوم الأخوة الإنسانية الذي يتناقض تمامًا مع مشاعر الحقد والكراهية وسوء المعاملة، فليس من الإنسانية أن يتحول البشر إلى أعداء يلدغ بعضهم بعضًا أو أن يطاردوا بعضهم في الأماكن العامة ومحاكم العدل بهمجية، فيظهرون في هيئة اللصوص ومدمني الخمر والمفسدين. إن من يتطلع ليكون صديقًا لنفسه، عليه أن يظهر روحه من الكراهية ويغرس في قلبه التسامح والمحبة، ليعكس بذلك جوهر الإنسانية الفاضلة التي تنادي بها الفلسفة الرواقية : (Malcolm : 1991 p22)

مثلت المواطنة العالمية في إطار الرواقية الرومانية وحدة أخلاقية تجمع جميع البشر في وطن واحد، حيث يشكل الاتحاد بينهم الأساس المتين لهذه الوحدة، ففي هذه الرؤية يكون ارتباط الفرد بالإنسانية جمعاء أعظم وأسمى بكثير من ارتباطه بقوميته أو وطنه الذي نشأ فيه، وكما جاء في الخطاب الرواقي... ((ألا تعرف أيها الإنسان أنه كما أن القدم لا تعود قدمًا إذا ما فصلت عن الجسد، أنت كذلك لا تبقى إنسانًا إذا انفصلت عن الآخرين)) (Epictetus:book II ch v) يعني ذلك أن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي وأن علاقته بالمجتمع الإنساني علاقة غير قابلة للانفصال بل علاقة جوهرية تقوم على الترابط والتكامل وتشبهه في عمقها العلاقة العضوية التي تربط أجزاء الجسد بالكل، حيث لا يكتمل وجود الجزء ولا تؤدي وظيفته إلا في إطار الكيان الذي ينتمي إليه.

فالطموح الذي تسعى الرواقية الرومانية إلى تحقيقه وترسيخه هو التصدي للنزعة التقسيمية والاستقلالية التي كانت سائدة في دولة المدينة سابقًا. إن هدفها هو توحيد البشر جميعًا ضمن رؤية شمولية كونية حيث يعيشون كأخوة متساويين في الحقوق والواجبات مع مسؤوليات متساوية تجاه بعضهم البعض. الرواقي إذن هو مواطن كوني، يرى في الكون مدينته وفي البشر إخوته، لا يتناقض هذا مع انتمائه لمجتمعه الخاص، بل يشبه الانتماء دوائر متداخلة تبدأ من الجماعة القريبة وتتسع تدريجيًا حتى تشمل البشرية جمعاء. وكما يقول ماركوس أوريليوس: ((بصفتي أنطونينوس فمدينتي هي روما وبصفتي إنسان فمدينتي هي العالم لذا فإن ما هو خير لهاتين المدينتين هو وحدة الخير، بالنسبة لي هنا أو هناك لا فرق مادمت حيثما عشت تتخذ العالم وطن لك)) (أوريليوس : ٢٠١٧، ك٦ ف٤٤)، يشير أوريليوس إلى أن جميع البشر كمواطني المدينة الكونية يشتركون في أصل واحد ولا يميزهم عن بعضهم سوى الأدوار والواجبات التي تضمن الانسجام والتوازن في الكون. لم يرَ أوريليوس نفسه كإمبراطور بقدر ما اعتبر نفسه مواطنًا يؤدي واجبه في خدمة شعبه، متحليًا بالفضيلة ومستلهم القدوة من محيطه. هذا الوعي بالترابط الإنساني جعله موضع تقدير وإعجاب من الفلاسفة والملوك والسياسيين حتى يومنا هذا.

الجامعة التي نادى بها الرواقية الرومانية هي جامعة روحية، حيث يحل فيها الإنسان محل المواطن، والوحدة العقلية محل الوحدة السياسية، لذلك كان "ماركوس أوريليوس" يعتبر نفسه مواطنًا عالميًا رغم كونه إمبراطورًا لروما* في أزهى عصورها. فقد جعل من هذه الفكرة التي كانت في البداية مجرد نظرية فلسفية يؤمن بها الفلاسفة الرواقيون، واقعًا يعيشه الناس داخل الإمبراطورية الرومانية وأصبحت هذه القيمة جزءًا من هوية الإنسان الذي ينتمي إلى الدولة الرومانية التي كانت تمثل صورة مصغرة للدولة العالمية. ويؤكد "أوريليوس"

*كانت الكوزموبوليتيا الرواقية مقنعة بدرجة هائلة بالنسبة للعالم الروماني اليوناني، لأن هذا النجاح الباهر لهذا المفهوم يمكن تفسيره بالنظر إلى مقدار التعددية و التنوع الثقافي والعرقي في العالم في هذا العصر، الرواقيون في العالم الروماني يتوسعون في معنى المواطنة بحيث تشمل كل البشر بسبب عقلانيتهم و مما لا شك فيه أيضًا أن الإمبراطورية الرومانية قد جعلت من مفهوم الكوزموبوليتيا مذهبًا سيرًا علي كثير من الرومان و ذلك عن طريق المطابقة بين الوطن الروماني والكوزموبوليتيا أو المدينة الكونية نفسها، في حين يقصر كريسبيوس المواطنة العالمية علي من يعيشون وفقا للكون بنظامه وقانونه، ولكن علينا ألا ننسى أن النزعة الاستعمارية التي كانت تنتهجها الإمبراطورية الرومانية لم تكن مطلوبة بالنسبة للمفهوم الفلسفي



هذا المعنى عندما يقول: ((الإنسان الذي هو مواطن هذه المدينة العليا التي تعد سائر المدن مجرد عائلات فيها)) (أوريلوس : ك ٣ ف ١١)، فإن المفكرين الرواقيين رأوا في الغالب أنه ((ليست هناك حاجة للانخراط في السياسة، لتعديل تشريع، أو تغيير الدولة، أو الأوضاع الاجتماعية، لتحسين سلوك البشر. بدلا من ذلك تصور الرواقيون البشر على أنهم يعيشون في مجتمع عالمي الجميع فيه مواطنو وطن واحد من الناحية الروحية)) (ينظر: جونتانان : ٢٠٢٠، ص ٥٢٨)، على هذا الأساس اتجهت الرواقية إلى اعتبار الإنسانية أسرة واحدة يتكون أعضاؤها من جميع البشر بغض النظر عن أديانهم، لغاتهم أو بلدانهم، حيث أنكرت الفروق التي صنعها الناس من خلال تقسيمهم إلى طبقات كما كان الحال في دولة المدينة.

ثانياً: التوازن بين الفرد والمجتمع من الانفراد إلى الاندماج

تمثل العلاقة بين الفرد والمجتمع محوراً أساسياً في الفكر الفلسفي الرواقي حيث سعى العديد من الفلاسفة الرواقيين لفهم طبيعة هذا الترابط وحدوده. من بين هؤلاء الفلاسفة يُعد سينيكا أحد أبرز الفلاسفة الذين تناولوا هذه العلاقة، حيث قدم رؤية معقدة حول توازن الفرد والمجتمع في سياق الطبيعة، تركز هذه الرؤية على فكرة أن الإنسان لا يمكنه العيش بمعزل عن محيطه، بل هو جزء لا يتجزأ من النظام الكوني مما يجبره على التفاعل مع الآخرين من أجل تحقيق التوازن داخل هذا المفهوم الكوني، تتجسد هذه الفكرة بوضوح في قوله: ((إذا أردت أن تكون سعيداً، يجب أن تعمل من أجل مصلحة الآخرين، فإن سعادة الفرد لا تأتي إلا من خلال سعادة المجتمع)) (Seneca : v2.p23) هنا يؤكد سينيكا أن السعادة الحقيقية لا تتحقق من التركيز على المصالح الفردية فقط بل من خلال العمل من أجل مصلحة الآخرين والمساهمة في رفاهية المجتمع بشكل عام. فهي ليست مجرد حالة فردية، بل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمساهمة الفرد في تحسين حياة الآخرين.

تنظر الرواقية الرومانية إلى الفرد ككائن اجتماعي يتحمل مسؤولياته تجاه الآخرين في إطار الحياة المشتركة، ومع ذلك، تشدد على أن هذه المسؤوليات يجب أن تُؤدى بما يتماشى مع القدرة الداخلية للفرد على الحفاظ على توازنه الذاتي، بمعنى آخر الفرد الذي يركز على تطوير ذاته وتحقيق سلامه الداخلي سيكون قادراً على إيجاد توازن سليم مع المجتمع، يظهر هذا عند ابكتيتوس في قوله: ((الإنسان الذي يسعى لعيش حياة جيدة يجب أن يكون على علم بأهمية علاقاته مع الآخرين، لأنه لا يمكن للإنسان أن يعيش بمفرده في المجتمع)) (Epictetus: book II ch x) يشير ابكتيتوس إلى أن تفاعلاتنا مع الآخرين لا تقل أهمية عن تفاعلاتنا مع أنفسنا، مؤكداً أن التوازن بين الفرد والمجتمع يتطلب الاحترام المتبادل والوعي بالمسؤوليات تجاه الآخر، فلا يمكن للإنسان أن يحقق السعادة الحقيقية إذا كان يعيش في صراع دائم مع المجتمع أو مع الطبيعة. يجب أن يسعى للعيش في انسجام مع القيم الطبيعية والاجتماعية لتحقيق التوازن الداخلي والخارجي.

وفي هذا السياق، يقدم ماركوس أوريلوس رؤية مشابهة مستوحاة من عالم الحشرات والحيوانات، حيث يرى أن التفاعل داخل المجتمع يشبه إلى حد كبير العلاقات التي تسود في الطبيعة، إذ يعمل كل عنصر لصالح الجماعة مما يخلق نظاماً متوازناً ومتكاملاً. هكذا يلتقي فكر أبكتيتوس وفلسفة أوريلوس في تأكيد أهمية التفاعل المتناغم داخل المجتمع، حيث يُظهر كلاهما أن التوازن الداخلي والخارجي لا يتحقق إلا من خلال احترام القيم الاجتماعية والطبيعية والعمل لصالح الجماعة (ينظر : أوريلوس، ك ٦، ف ٥٤)

تعتمد هذه الفكرة على فهم عميق للعلاقة بين الفرد والمجتمع والطبيعة، موضحاً أن التفاعل بينهم لا يقتصر على المنفعة المتبادلة بل يشكل شبكة معقدة من الروابط التي تعزز التوازن والتناغم مما يؤكد أوريلوس أهمية التعاون والاحترام المتبادل لضمان استدامة الحياة. فيقول: ((كل ما يحدث للفرد هو لمصلحة الكل)) (أوريلوس : ك ٦ ف ٤٥)، يؤكد هنا أن رفاهية الفرد لا يمكن فصلها عن رفاهية الجماعة وأن أي تطور أو تغيير يحدث على مستوى الفرد ينعكس حتماً على المجتمع ككل، هذا المفهوم يتناغم مع النظريات العضوية في الفلسفة الاجتماعية، التي تعتبر المجتمع ككائن حي يتأثر بكل مكوناته ويخضع للتكيف المستمر مع هذه المكونات.

تؤكد الرواقية أن العدالة والتوازن في المجتمع لا يتحققان إلا عند عدم تفضيل طرف على آخر، مما يعكس تقارباً مع مبدأ العدالة الطبيعية، الذي يمنح كل فرد حقوقه دون المساس بحقوق الآخرين، يمكن ربط هذا المفهوم بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، التي تشدد على ضرورة توزيع الحقوق والواجبات بعدالة لضمان استقرار المجتمع.



إذ ترى الرواقية الرومانية أن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته، ولا يمكنه العيش بمعزل عن الآخر ينحيت إن التفاعل مع المجتمع ليس مجرد خيار بل هو ضرورة تملئها القيم العقلية والأخلاقية التي تقوم عليها الحياة الفاضلة. تقول على لسان أبكتيتوس: «لا يمكن للإنسان أن يعيش في عزلة تامة عن الآخرين، فحياتنا قائمة على الترابط المتبادل، ومن خلال التفاعل مع المجتمع نكتسب الحكمة ونرتقي بالفضيلة، متجاوزين الأهواء والانفعالات. تذكر دائما أنك جزء من نسيج اجتماعي أوسع، كما تعتمد على الآخرين، فإنهم يعتمدون عليك أيضا، ولا يمكن تحقيق الفضيلة الحقيقية إلا عبر تواصل متوازن ومسؤول مع محيطك» (Epictetus: Ch (xxiv), هنا يرى أبكتيتوس ومجمل الرواقيون من الاثنيين والرومانين أن الإنسان، لكي يحقق الانسجام مع ذاته ومع الآخرين يجب أن يدرك دوره داخل الجماعة ويتصرف وفقا لمبادئ العدل والحكمة، وفي هذا السياق، يشير إلى أن التفاعل مع المجتمع لا ينبغي أن يكون عشوائياً أو خاضعاً لتقلبات الرأي العام، بل يجب أن يستند إلى وعي فردي ومسؤولية أخلاقية.

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الإنسان والطبيعة، يؤكد سينيكا أن هذه العلاقة قائمة على التفاعل المستمر، حيث لا يكون الإنسان مجرد مستهلك للموارد بل عنصراً فاعلاً يعيد تشكيل بيئته وفقاً لاحتياجاته، في الفلسفة الرواقية، يُنظر إلى المجتمع والبيئة المحيطة كوحدة متكاملة مما يعني أن الإنسان يتأثر بالطبيعة بقدر ما يؤثر فيها، وعليه أن يعيش في انسجام معها محافظاً على التوازن بين الاستفادة من مواردها واحترام قوانينها (ينظر: سينيكا: ص ٣٣٤)

تتجلى هذه العلاقة بوضوح في فلسفة ماركوس أوريليوس حيث يؤكد أن دور الإنسان لا يقتصر على استهلاك الموارد الطبيعية، بل يمتد إلى إعادة تشكيل البيئة بما يتناسب مع احتياجات المجتمع. وبهذا يصبح الإنسان مكوناً أساسياً في نظام الطبيعة مدرجاً ضرورة تحقيق التوازن بين التطور الاجتماعي والحفاظ على البيئة لضمان استدامة الحياة. وفي هذا السياق يقول أوريليوس: «ما لا يضر المدينة لا يضر مواطنها أيضاً» (أوريليوس: ك ٥، ٢٥)، هنا يُبرز فكرة أن ازدهار المدن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بسلامة الأفراد وأن أي ضرر يصيب البنية الاجتماعية ينعكس على الجميع بلا استثناء. تتوافق هذه الفكرة مع الفلسفة البيئية الحديثة التي تؤكد أن التوازن البيئي يعد ضرورياً لاستمرار المجتمعات البشرية، ويكمل هذه الفكرة بقوله: «لا شيء يضر مواطن الطبيعة إلا ما يضر المدينة» (المصدر نفسه، ك ١٠، ٣٣) مما يعزز الفكرة القائلة بأن الإنسان كائن بيئي يعتمد على بيئته بقدر اعتماده على مجتمعه وأن أي خلل يحدث في أحد الجانبين سينعكس بشكل حتمي على الآخر.

من خلال هذه الرؤية يقدم الرواقيون-أوريليوس- خاصة، تصوراً شاملاً يربط بين الفرد والمجتمع والطبيعة في شبكة معقدة من العلاقات المتبادلة حيث لا يمكن فصل أي عنصر عن الآخر دون التأثير على النظام ككل. يدفعنا هذا التصور إلى التفكير في تأثير أفعالنا الفردية على البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تحيط بنا ويؤكد على أهمية تحقيق التوازن بين المصالح الشخصية والمصلحة العامة لضمان استمرارية المجتمعات بشكل مثالي.

إن الغاية الأساسية من الإنسان بنظر- الرواقية الرومانية- هي وجود غائي اجتماعي، ويؤكد هذا الرأي "إبكتيتوس" عندما قال: «من أجل الكل -المجتمع الإنساني- عليك أن تتحمل المرض أحياناً وتغترب وتخاطر أحياناً أخرى وتفقر وتموت قبل الأوان إذا اقتضى الأمر» (Epictetus: book II ch V)، لهذا شعر الرواقيون بارتباط الوجود كله ووحدة الجنس البشري وأخوة الناس، وضرورة التعاطف بينهم حتى النجوم كانوا يقولون أن أعينها تتلألأ بالدموع مشاركة منها لإحساسات البشر.

يرى الرواقيون المتأخرون أن المجتمع ليس مجرد نتاج لإرادة الأفراد عبر عقد اجتماعي كما طرحه بعض الفلاسفة الغربيين لاحقاً، بل هو كيان طبيعي يسبق الفرد حيث يولد كل إنسان ضمن مجتمع قائم. ومن أجل تحقيق مبادئ المدينة العالمية، لذي يجب أن يسود الاحترام المتبادل بين الأفراد إذ إنهم من يشكلون طبيعة المجتمع سواء جعله مكاناً مزدهراً أو العكس، وبما أن المجتمع حاجة طبيعية يقع على عاتق الإنسان مسؤولية المساهمة في استمراره وتكامله، لذلك اعتبر الرواقيون التعاطف والمحبة ركيزتين أساسيتين في تحقيق هذه الوحدة والأخوة الإنسانية. لكن ما أبعاد هذا التعاطف؟ وكيف يمكن أن يسهم في بناء المدينة العالمية؟



ثالثاً: الإيمان بضرورة سيادة الحب

عدّ الرواقيون أن هناك عاطفة وثيقة تجمع كل سكان المدينة العالمية وتجعلهم متلاحمين باعتبارهم أخوة بالطبيعة بحيث ((لم تهدف الطبيعة جعل الإنسان وحدة منعزلة، وإنما قصدت جعله مواطناً للمدينة العظيمة للعالم ككل، فغريزة الإيثار مفضولة فينا، بها نكون أسرة وبها نتضامن مع الجنس البشري كله، وبها يضحى الإنسان بحياته متى اقتضت الضرورة ذلك، من أجل صديقه أو مدينته أو الجنس البشري)) (مراد : ٢٠١٧ ، ص ٣٤٠)، أو كما يقول سينيكا ((إن الحب له شبه بالصدقة)) (سينيكا : ٢٠٢١، ص ٢٢٢)، إذ فالرباط الذي يجعل أفراد المدينة وحدة متلاحمة لا تعرف انفصام يتجلى في الحب والصدقة، فهذا الرباط هو ضروري للمدينة العالمية، لذا اهتم الرواقيون -عموماً- بالحب اهتماماً كبيراً، وخصصوا له كتباً ككتاب زينون "في الحب" وكريسيبوس "فن الحب".

تحدثت الرواقية عن الحب وأهميته في تحقيق التناغم بين سكان المدينة، لذا وصفه "زينون" في جمهوريته بقوله: ((إن الحب يحقق الصداقة والحرية والتناغم يقوم في المدينة كناشر للأمن والأمان)) (سينيكا : LX ، ص ٣٤٢)، والرواقيون هنا لم يريدوا لهذه المدينة أن تكون قوة سياسية ذات كيان مادي، بل أرادوها جامعة روحية تقوم قبل كل شيء على وحدة المعرفة والإرادة، فالمدينة الفاضلة أو المدينة الإلهية في نظر أصحاب الرواق- المتأخرين- إنما هي مجتمع تحل فيه الوحدة العقلية محل الوحدة السياسية وتقوم فيه المحبة بين الناس مقام القانون.

والملاحظة التي لا بد أن نبينها هنا هي أن الحب الذي تشترطه الرواقية - هو ليس حب الشهوة كما عند أفلاطون في المأدبة*-، ولا يتضمن شيئاً مشيئاً إنما هو سعي إلى تكوين الصداقة والاصدقاء، ونشرها بين سكان المدينة العالمية وتكون شاملة لكل حتى على الحكيم أن يمارسه، ولو كانوا يقصدون به العكس ما كان لهم على الاطلاق أن يقولوا أن الحكيم يحب، لأنه شخص مجرد من الشهوة كما يقولون. بل هو لدى الرواقيين المتأخرين ((عبارة عن سعي يبذل للحصول على الصداقة من أجل الجمال البادي للعيان وأن غايته هي الصداقة وليس العلاقة الجنسية)) (اللائرتي : ٢٠٠٦، فقرة ١٣٠)، إذا الحب هو معرفة كيفية اصطياذ الشباب الصغار ((الموهوبون بالفطرة للفضيلة)) (المصدر نفسه، فقرة ١٢٩)، من أجل تكريس المعرفة ولتعليمهم كيف يعيشون حياة متفقة مع الفضيلة، والهدف من وراء الحب هو هدف سامي ونبيل، إنه نشر الوئام والفضيلة بين سكان المدينة الكونية ونشر الفضيلة بين الشباب للدخول في وئام وصداقة حميمة مع الآخرين في الاحترام والتقدير، فلم يخطئ زينون إذن عندما عد الحب الإله القائم هناك، والرفيق المساعد الذي يحفظ المدينة ويصونها.

فالرواقية تحدثت عن الصداقة بوصفها غاية للحب وهدفاً له، وكان "كريسيبوس" قد جعل الصداقة هدفاً أساسياً سواء كان يعتمد في ذلك دعم رأي زينون أم أن ذلك كان هو موقفه الخاص منها، وبالنظر إلى "سينيكا" نجد أن مذهبه في الصداقة يعكس تأثره البالغ بأصدقائه الرواقيين، فبينما يصف زينون صديقه ((بأنه الأنا الأخر)) (اللائرتي : فقرة ٢٣)، فإن "سينيكا" يخاطب صديقه (لوكيلوس) بنفس المعنى فيقول له الصديق ((كأخ هو أنت)) (سينيكا : LCV ، ص ٩٤)، وهذا نوع من الارتقاء بالصلة حد التماهي لأن إذا ((كنت ترى في أي شخص صديقاً ولا تثق به كما تثق بنفسك فأنت تقع بخطأ فادح وقد أخفقت في أن تفهم حقاً القوة الكاملة

* عرف أفلاطون الحب بأنه (رغبة في شيء ما لا يملكه المحب ويحتاج إليه) وهو نفس التعريف الذي أفرده للحب في (فايدروس). و (ليسس) و (الجمهورية) جاعلاً منه الوسيلة التي تقود إلى الجمال بالذات وبداية الصعود الجدلي إلى مثال الجمال وهذا ما جعل تسميته بالحب الأفلاطوني، كما ذهب البعض في تفسيره للعلاقة الروحية الخالية من رغبة شهوانية في جسد البشر، في حين نجد آخرين يفسرونه تفسيراً مختلفاً بأن أفلاطون قصد به خليطاً من نوع خاص من الشهوة الحسية والعاطفة والعقل، وبعد ذلك تتم بواسطته التجاذب العسقي بشكل لا يقبل التبادل العقلي. وللمزيد حوله يراجع محاورات أفلاطون: المأدبة كاملة، ترجمة وليم الميري، دار المعارف، القاهرة، ط ١، وكذلك الجمهورية فقرة (٤٧٥)، وكذلك فايدروس فقرة (٢٣٧د)، وكذلك ليسس (ترجمة تمارز) فقرة (٢٢١د).



للصداقة الحقيقية)) (سينيكا: ٢٠١٨، ص ٥٢)، ويكرر "سينيكا" في هذا الصدد دعوته إلى (لوكيلوس) أن يثق في صديقه وأن يأتئمه ومع ذلك فليس من الحكمة أن نكون من الذين يثقون في أي شخص فيبوحون بأسرارهم لمن لا يستحق، وبذلك يكون خطأ ألا نتق في أي إنسان معادلاً لخطأ أن نتق في كل إنسان (المصدر نفسه، ص ٥٢-٥٣)

ومن ناحية أخرى يختلف سينيكا تماماً مع أبيقور في مفهوم الصداقة، وأن كان يتفق معه تماماً في ضرورة وجودها والمحافظة عليها كقيمة أخلاقية. فإذا كان هدف الصداقة عند أبيقور - كما يقول سينيكا - هو من يخفف عنه المرض ومن يواسيه عند الألم ومن يعينه عند الحاجة، فإن "سينيكا" يرى العكس جاعلاً من كسب الصداقة متعة أكثر من الصديق نفسه كونها مبعث السعادة الحقيقية، ضرب سينيكا مثلاً على ذلك فيقول ((بنفس الطريقة التي يتمتع فيها الفنان بالرسم أكثر من متعته باللوحة المنتهية)) (سينيكا : ٢٠١٨، ص ٧٢)، ومعنى ذلك أن هذا الفنان يجد سعادته وغاية متعته في أثناء قيامه بعملية الرسم ذاتها إلى حد يفوق مبلغ سعادته بعد الانتهاء من عمله، فالرجل الذي أختار صداقته هو الذي تستطيع أن تضحي من أجله وتصحبه في منفاه وتتكفل بدينه إذا عجز عن السداد، بمعنى أن الاختلاف بين مفهوم الصداقة في الرواقية الرومانية ومفهومها في الأبيقورية هو أن الأبيقورية ترى في مفهوم الصداقة معنى البذل والعطاء ولكن بطريقة عكسية، فأبيقور وأتباعه كما ينقل سينيكا ينتظرون البذل وذاك العطاء من الصديق أي أنهم يتحدثون بلغة الأخذ التي تعرف في الفلسفة اصطلاحاً بمذهب المنفعة بمعنى ((الصديق الذي تتخذه كي تستفيد سيقى محترماً ما بقي مفيداً)) (سينيكا : ٢٠١٨، ص ٧٢-٧٣)، بينما فلاسفة الرواق لا ينتظرون ذلك بل يبادرون هم بالبذل والعطاء من أجل الصديق فيما يعرف بلغة العطاء وليس الأخذ.

وليست الصداقة شيئاً مكتسباً من الخارج بل ينشأ الشعور به بالطبيعة وهي لا تتحقق إلا للحكام والأخيار ويستطيع الإنسان أن يتشبه بالحكيم حتى يعم الخير المشترك والمحبة بين جميع الناس لأنهم يشاركون في العقل القائم في الكون، وتقوم الصداقة بين الناس اعتماداً على مودة بين الأشخاص وعلى الاختيار والتفضيل منشؤها التعاطف والمشاركة في الميول، وأساسها المساواة والألفة والمخالطة حتى عدتها - الرواقية الرومانية - علاقة مقدسة وقيمة إنسانية نبيلة تقوم على الأخوة والمحبة المتبادلة بين الطرفين (ينظر كيلاني، ٢٠١٣، ص ١٨٢).

يتفق سينيكا مع أرسطو في التفريق بين الصداقة الحقيقية والصداقة العرضية، فالصداقة الحقيقية هي صداقة الفضلاء الذين يتشابهون بفضيلتهم ويريد بعضهم الخير لبعض، أما الصداقة العرضية وهي الصداقة القائمة على اللذة أو المنفعة التي لا يعامل فيها الصديق صديقه كغاية في ذاته بل هو وسيلة لتحقيق غرض معين في نفس هذا الصديق وبمجرد أن يتحقق الغرض تنتهي الصداقة، فهي إذن ليست صداقة محبة في الصديق لشخصه وإلا لدامت هذه الصداقة واستمرت (ينظر : النشار : ٢٠٠٦، ص ٢٢٨-٢٢٣٠)

كما لا يخفى علينا ما في تأكيد الرواقيين المتأخرين السابق على أهمية الصداقة في الارتقاء بالشباب للوصول إلى الفضيلة، كون الصداقة لدى الرواقية ليست سوى صورة راقية من صور التواصل العقلي بين البشر، وشروطها لديهم الحكمة والفضيلة ويتمتع الأصدقاء بتوافق كامل في العقول ومشاركة في منظومة القيم والأهداف، وينعش كل واحد منهم جوانب حياة الآخر بشكل كامل ودون أي مصلحة أو استغلال، وهذا ما أكد عليه "إبكتيتوس" عندما جعل تبادل المحبة والتسامح بين الناس والحفاظ عليها شيء ضروري (ينظر: إبكتيتوس، فقرة ٢٤)، فالمحبة الناتجة عن الصداقة من أسمى العواطف الإنسانية التي نادي بها "إبكتيتوس"، والتي تشملها روح المودة والأخوة والإحسان والتسامح، بأن تحب جارك وتحترم الآخر، والجار في قاموس الرواقية الرومانية، ليس الجار الجغرافي - المحلي - ولا الجار السياسي ولا الجار العنصري أو الطبقي أو الطائفي إنه الجار الأخلاقي - العقلي إنه أي إنسان وكل إنسان.

اتفق "أوريلوس" مع سابقه بأن الصداقة الناتجة عن الحب من أهم صور المشاركة في الحياة الاجتماعية، مؤكداً بأن الناس أصدقاء يجب بعضهم بعض، لذا أولى لهما اهتماماً كبيراً معارضاً بذلك المثل الأعلى للمدرسة الكلبية التي تفر بالعيش في عزلة بعيداً عن الناس وعدها من ضروريات الحياة، ويجب أن يقوم بها المرء في ظل روح أخلاقية نقية (ينظر: أوريلوس: ك ١- ف ١٣، وكذلك ك ٧- ف ٤٤)، وحمل معه



"إبكتيتوس" ضرورة هذه المشاركة في الحياة الاجتماعية بقوله: ((على الرغم من أننا في مقدورنا أن نهتم بشيء واحد فقط ولا نكسر أنفسنا إلا لشيء واحد فحسب، فإننا بالأحرى يجب أن نختر الاهتمام والمشاركة في أمور كثيرة، ونرتبط ارتباطاً وثيقاً بما نملك من عقار، وبالأخ، والصديق وبالطفل)) (Epictetus: book II ch V)، وعليه نعتقد أن فكرة الحب العالمي هي من صميم فلسفة الرواق العالمية متخفية الفكر الاخلاقي عند "أفلاطون وأرسطو" اللذان ((لم يفرقا بين روابط الصداقة والعطف الا ما يكون بين المواطنين من أهل المدينة الواحدة)) (الطائي: ٢٠٠٧، ص ٢)، فالرواقية ترى أن الدولة المثالية لا تعترف بالحدود ولا تقوم على التمييز بين البشر ولذلك مثلت انعطافاً حاسماً في تاريخ الفلسفة عموماً، وفي فلسفة الأخلاق على وجه الخصوص فقد أسست الأخلاق على المبدأ الذي لا تستقيم بدونه وهو مبدأ الكونية أو العالمية، انطلاقاً من الاعتقاد بأن جميع البشر إخوة يشتركون في النفحة الإلهية ذاتها.

ومن هنا مهدت الرواقية الطريق لنشوء أخلاق اجتماعية ذات طابع إنساني شامل قائمة على المحبة والتضامن مع الإنسانية جمعاء، في تصور يختلف جذرياً عن نزعة الاعتزال أو التعالي التي قد تُستنبط نظرياً من بعض تعاليمهم، ومع ذلك وعلى الرغم من دعوتهم إلى قيام دولة مثالية تقوم على المحبة والوئام الإنساني، فإن الرواقيين لم يدعوا إلى تغيير النظام السياسي القائم، بل اكتفوا بإصلاح الإنسان من الداخل بوصفه الأساس الحقيقي لأي نظام أخلاقي أو اجتماعي.

رابعاً: الإيمان بضرورة التسامح

إن المطلع على التراث الفكري والإنساني ومجمل النشاط الحضاري الذي خلفته لنا المدرسة الرواقية – الرومانية تحديداً-، يجد وبنحو واضح ماهية تعامل هذه المدرسة مع المجتمعات الإنسانية ككتلة واحدة ودولة واحدة، والرابط الأساس والمرتكز الرئيس فيها هو رباط الإنسانية، فضلاً عن الإله الواحد المتحكم في العالم الذي يجعل جميع البشر متجهين نحو عبادة واحدة مما يجعل الإنسان في بوتقة واحدة أمام الإله، لذا أدركت هذه المدرسة الأخلاقية بإدراك ووعي تام، إن التنوع والتعدد العرقي والعنصري هو شأن موجود في المجتمع الإنساني منذ الخليقة الأولى للبشر ولا سبيل إلى إلغائه، إلا إذا ما تم إرساء مبدأ التسامح والتعايش في المجتمع. إن التسامح هو قانون شامل لكل العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية، والصلة التي تربط المخلوقات ببعضهم، ويعرفه "سينيكا" هو ((التصرف الملائم للعقل في مسألة إنزال عقوبة بشخص ما، أو الاعتدال الذي يخفف من التعرض للجزاء والعقاب، وهو أيضاً التسامح والعفو الكامل عن من يستحق العقاب)) (غريغوار: ١٩٧٠، ص ٩٢)، فيشير "سينيكا" بمفهوم التسامح إلى الاعتراف بقيمة الآخر وجدارته ونديته وحقوقه المتساوية مع الجميع، فكل شخص إنساني ملزم بالاعتراف بالآخر سواء كان مماثلاً له أم مختلفاً عنه، والقصد منه هو الإيمان بحق كل شخص في العيش على وفق قناعاته في مجتمع آمن تسود فيه علاقات التفاهم والتساكن والتعايش وتكافؤ الفرص والعدالة والانصاف والاعتراف إذ إن أكبر المساوي التي يمكن أن تصيب الإنسان هو غياب التقدير والاعتدال.

يمثل التسامح الوسيلة إلى الانسجام الإنساني وعملية عرض الأفكار في المدينة العالمية وفهم آراء الغير حتى يتنازل الإنسان عما علق برأيه من انانية واعتداد بالرأي، من خلال تدريب الإنسان نفسه على سمة التسامح باستمرار حتى يتمكن من لجم نفسه عند الغضب أو أي موقف أحر، كما يقول إبكتيتوس: ((أخذ نفسي بالتدريب على التسامح والعفو، وأن أفرح بكل يوم يمر وقد أمكنتني أن أقابل الإساءة بالإحسان والإهانة بالصفح. فإذا مر شهر وصفحتي نقية من النزق والغل أكون قد أحرزت تقدماً على الدرب وآتيت براً بنفسي)) (إبكتيتوس: المختصر، فقرة ٦)، فهذا التدريب الذي تشجع عليه الرواقية هو من أجل الانسجام مع فكر من يختلف معه الإنسان، وبذلك يحقق الغاية الفعلية لأستمرارية التفاهم والتساكن بين افراد المجتمع، في ظل الأمان الذي يستظل بظلاله كل من ينسجم مع مجتمعه في وحدة الموقف وسمو النفس والارتفاع من الضغائن والأحقاد بين سكان المدينة العالمية .

فالاختلاف والتعدد في هذا الكون بنظر -الرواقية الرومانية- هو واقع ملموس وفيه حكمة الهية، ومن هذا المنطلق كانت فلسفة الأخلاق تمثل محور الفكر الرواقي المتأخر، وذلك من خلال اعترافهم بضرورة وجود الدين الذي يحقق الطمأنينة للإنسان إلى جانب الأخلاق الفاضلة، التي تتجلى بواسطة التسامح لعقائد الشعب



الدينية، عن طريق الاقتداء بالآلهة وتسامحهم مع البشر ومحبتهم للجميع برأي "أوريليوس" من خلال بيان الطريق الأقوم، وإذا لم تستطع فتذكر أنه لذلك السبب قد أوتيت ملكة السماحة، والآلهة أيضا متسامحون مع هؤلاء الناس، وربما شملوهم بإحسانهم فأعانوهم على تحقيق بعض أهدافهم؛ الصحة، الثروة، المجد (أوريليوس: ك٩، ف١١)، ولهذا يجب علينا أن نلتزم المعذرة لأي إنسان إذا أخطأ وأن نكون به من المترفقين أي نتحدث معه بلطف ولين من غير تعصب وهذه الامور رغم بساطتها لكنها تجعل العالم أسرة واحدة أو ما يسمى بعالمية الكون، فضلاً عن المساواة التامة بين بني البشر فهي تنبذ كل عناصر التفرقة الجنسية واللونية والعبودية وتبحث في ميدان الانسانية التي لا تحدها الحدود ولا الفواصل الجغرافية فهي تنظر الى الانسان كأى إنسان بمعزل عن أية اعتبارات ثانوية.

وعليه اتفقت الرواقية الرومانية بفلاسفتها الثلاثة بأن التسامح قوام الإنسانية، لأن الجميع في نظرها خطأون وهذا أول قانون للطبيعة، والشقاق الذي يصيب الجنس البشري علاجه التسامح، فالتسامح هو نقطة البداية للتعامل بين البشر في المدينة العالمية الذي يضيف على النفس السكينة، وحين توجد أذهان متفتحة تمارس التسامح من تلقاء نفسها تشعر بضرورة تجاوز التسامح إلى درجة أعلى، ويتحول التسامح إلى تعاطف ومحبة يسود المدينة العالمية

وعليه أصبحت فكرة العالمية أساساً للتأكيد على بعض المبادئ التي استحدثت معها طرح تصورات جديدة مخالفة لما كان في السابق، وهذا نتيجة الدعوة إلى الأخوة والمساواة لجميع البشر والتأكيد على الكرامة الإنسانية والاعتراف بحق الفرد في الحياة وبحقوقه الطبيعية، لأنها لم تكن محدودة بأي تقاليد وطنية أو محلية، بل إنها حضارة تتوجه قانونياً لكل البشر، لأنها تؤمن بتمائل العقل المشترك لدى الجميع.

الخاتمة

بعد الانتهاء من البحث، أمكن التوصل إلى مجموعة من الاستنتاجات التي تعد من أبرز النتائج التي أسفر عنها هذا العمل ويمكن إجمالها فيما يأتي:

١: أسهمت المدرسة الرواقية الرومانية في تحرير الإنسان من النظرة الضيقة للعالم القائمة على التعصب العرقي ورفض الآخر، وقدمت تصور إنساني شامل ينظر إلى البشر جميعاً بوصفهم شركاء في الوجود الإنساني دون تمييز قائم على الأصل أو الانتماء.

٢: تجاوزت الرواقية النزعة المتعالية التي ميزت الفلاسفتين السياسيتين عند أفلاطون وأرسطو، ولا سيما في ما يتصل بمفاهيم التسامح والأخوة والمساواة، معتمدة على مبدأ القانون الطبيعي المشترك بين جميع البشر.

٣: أكدت الرواقية قيم الاعتدال في السلوك المدني والانضباط وربطت الحياة الاجتماعية بدور الأخلاق وأداء الواجب، كما أسهمت في تقديم روما نموذجاً للدولة المركزية في مواجهة الفوضى التي أفرزتها الحروب الأهلية.

٤: شددت الرواقية على أن العقل الإنساني جزء من العقل الكلي الحاكم للعالم، وهو ما يدعو إلى وحدة البشر في إطار إنساني شامل، ويجعل القانون الطبيعي أساساً للعلاقات الإنسانية داخل الدولة العالمية، حيث تتجلى قيم الحرية والمساواة، رغم بقائها في حدود التصور الأخلاقي المثالي.

٥: دعت الرواقية إلى العيش المشترك مع الآخر في إطار من الحرية والاحترام المتبادل، مؤكدة المساواة بين البشر بوصفهم شركاء في العقل والطبيعة وخاضعين لقانون أخلاقي واحد.



Funding

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Conflict of Interest

The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper.

Acknowledgments

The authors would like to extend their heartfelt thanks to Mustansiriyah University, College of Arts, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance offered by the institution greatly contributed to the successful completion of this study.

المصادر

- Appiah, K. A. (2006). *Cosmopolitanism: Ethics in a world of strangers*. W. W. Norton & Company.
- Epictetus. (1904). *Discourses* (G. Long, Trans.). D. Appleton and Company.
- Marcus Aurelius. (2017). *Meditations*. Hindawi Foundation.
- Seneca. (1925). *Practical letters from a Stoic master* (Loeb Classical Library ed.). Harvard University Press.

- إبيكتيتوس. (٢٠٢٠). المختصر (ترجمة رزان يوسف). دار المدى.
- إزرايل، جوناثان أي. (٢٠٢٠). التنوير متنازعاً فيه (ترجمة محمد زاهي ونجيب الحصادي). هيئة البحرين للثقافة والآثار.



ISSN:0258-1086

- إمام، إمام عبد الفتاح (مترجم). (٢٠٠٦). حياة مشاهير الفلاسفة (ج. ٢). المركز القومي للترجمة. (العمل الأصلي لديوجينيس اللائرتي)
- أوريليوس، ماركوس. (٢٠١٧). التأملات (ترجمة عادل مصطفى). مؤسسة هنداوي.
- سينيكا. (٢٠١٨). الحكيم بين الوحدة والصدقة (ترجمة الطيب الحصري). دار صفحة ٧.
- سينيكا. (٢٠١٨). الصدقة والاعتدال (ترجمة الطيب الحصري). دار صفحة ٧.
- سينيكا. (٢٠١٨). نصائح للحياة الآمنة (ترجمة الطيب الحصري). دار صفحة ٧.
- سينيكا. (٢٠١٩). عن وقت الفراغ (ترجمة حمادة أحمد علي). دار آفاق.
- سينيكا. (٢٠٢١). رسائله إلى لوقتيوس (ترجمة إميل معروف). الدار العربية للعلوم.
- الطائي، حسن حمود. (٢٠٠٧). الرواقية وفكرة الجامعة الإنسانية. مجلة الفتح، (٢٩).
- عبد الرحمن، عبد العال. (٢٠٠٣). دراسات في الفكر الأخلاقي عند فلاسفة اليونان. دار الوفاء.
- غريغوار، فرانسوا. (١٩٧٠). المذاهب الأخلاقية الكبرى (ترجمة قتيبة المعروفي).
- كيلاني، مجدي. (٢٠١٣). المدارس الفلسفية في العصر الهلينيستي (ط. ٢). المكتب الجامعي.
- مراد، محمود السيد. (٢٠١٧). دراسات في الفلسفة اليونانية. دار الوفاء.
- ملحم، إدمون. (٢٠٢٢). الفلسفة الرواقية. دار أبعاد.
- نرسيسيان، ف. س. (١٩٩٩). الفكر السياسي في اليونان القديمة (ترجمة حنا عبود). دار الأهالي.
- النشار، مصطفى. (٢٠٠٦). أرسطو والمدارس المتأخرة. دار الثقافة العربية.

❖ ترجمة المصادر العربية الى اللغة الإنجليزية

- **Epictetus.** (2020). *The Enchiridion* (trans. Razan Youssef). Dar Al-Mada.
- **Israel, Jonathan I.** (2020). *Enlightenment Contested* (trans. Mohammed Zahi&Najeeb Al-Hassadi). Bahrain Authority for Culture and Antiquities.
- **Imam, Imam Abdel Fattah** (Trans.). (2006). *Lives of Eminent Philosophers* (Vol. 2). National Center for Translation. (Original work by Diogenes Laertius).
- **Aurelius, Marcus.** (2017). *Meditations* (trans. Adel Mostafa). Hindawi Foundation.
- **Seneca.** (2018). *The Wise Man on Solitude and Friendship* (trans. Al-Tayyib Al-Hassani). Safha 7 Publishing House.
- **Seneca.** (2018). *Friendship and Moderation* (trans. Al-Tayyib Al-Hassani). Safha 7 Publishing House.
- **Seneca.** (2018). *Advice for a Secure Life* (trans. Al-Tayyib Al-Hassani). Safha 7 Publishing House.



ISSN:0258-1086

- **Seneca.** (2019). *On Leisure* (trans. Hamada Ahmed Ali). Dar Afaaq.
- **Seneca.** (2021). *Letters to Lucilius* (trans. Emil Maalouf). Arab Scientific Publishers.
- **Al-Ta'i, Hassan Hamoud.** (2007). *Stoicism and the Idea of the Universal Human Community. Al-Fath Journal*, (29).
- **Abdel Rahman, Abdel Aal.** (2003). *Studies in Ethical Thought among Greek Philosophers.* Dar Al-Wafaa.
- **Grégor, François.** (1970). *The Major Ethical Doctrines* (trans. Qutayba Al-Ma'roufi).
- **Kilani, Magdy.** (2013). *Philosophical Schools in the Hellenistic Age* (2nd ed.). University Publishing House.
- **Murad, Mahmoud Al-Sayed.** (2017). *Studies in Greek Philosophy.* Dar Al-Wafaa.
- **Malham, Edmond.** (2022). *Stoic Philosophy.* Dar Ab'ad.
- **Nersessian, V. S.** (1999). *Political Thought in Ancient Greece* (trans. Hanna Abboud). Dar Al-Ahali.
- **Al-Nashar, Mostafa.** (2006). *Aristotle and the Later Schools.* Arab Cultural Publishing House.